# النص المصفى في رواية أنشودة الشمس

للروائية بشرى أبو شرار ' د محمد زيدان '



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثمة ملاحظات أولية تلفت الإنتباه في أعمال الروائية المصرية الفلسطينية ، أو الفلسطينية المصرية ... بشرى أبو شرار فهي

أولا :

تشعر القارىء أنه أمام تجربة عميقة وممتدة إذا قورن ذلك بعمر الكاتبة ، وهذا يرجع إلى المخزون الهائل من الذكريات والآلام والطموحات التي تعج به ذاكرة الروائية ، مخزون يعود في هيئة نوع من الحكي المصفى الذي يقوم على رصد مناطق الجذب في الحكاية ، أو كما يسمى في النقد الحديث بالمراكز الدلالية ' البؤر ' التي تقدم نوعا من التحفز على الحكاية ، تحفيز لا ينتهي بإنتهاء الحكاية ، بل إنه عند الروائية يمكن القول أنه يبدأ في التشكل بعد إنتهاء الحكاية ، وذلك لأن هناك الكثير من المسكوت عنه ، والذي يحيل بدوره إلى دلالات مساعدة في تشكيل الصورة العامة في السرد .

- ثانيا :

تسعى الروائية من خلال الأساليب التي تستخدمها إلى مزج الكثير من الحكايات في بعضها البعض ، وهذا يستدعي بالضرورة مزجا آخر يتصل بالصورة والرمز وحركة الذوات ، والحوارات الأساسية والثانوية التي يقوم عليها البناء الروائي

- ثالثا :

لا تقدم بشرى أبو شرار كتابة تقليدية ، وإنما تسعى لتقديم مجموعة من الفضاءات ، أو الصور التي تعمل على تشكيل الزمان والمكان وتجسده بأدوات حكائية تعتمد على موهبة حكائية عالية ، تستقطب حولها الكثير من عناصر السرد ، وتستخدمها بكثير من المداراة في النص ....



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما تفعله بشكل لافت في رواية ' أنشودة الشمس ' والرواية من عنوانها وتقسيماتها الداخلية تعتمد على مجموعة من الحكايات ' أو بعبارة الكاتبة ' الأناشيد التي تقدم صورة حكائية تستقل في بعض الأناشيد وتتواصل في بعضها الآخر ، ويبقى العنوان دالا ومدلولا من حيث التركيبة النفسية التي يقدمها النص ، ولا نبالغ إذا قلنا أن روح الشعر ، وشعرية القص هي التي تسيطر على الأسلوب ، التي يعتمد في الكثير من الأناشيد على تضفير المجاز بالواقع ، والأسطورة بالحلم ، والذكريات بالأحداث من خلال ' شمس ' المرأة الفلسطينية ' المقيمة ، المهاجرة ' التي تحمل بين جنباتها روح الأرض وعبقرية البقاء في وجه الإحتلال بأية صورة من الصور ، حتى على مستوى الضعف الإنساني الذي يبدو أحيانا ، ولكنه ضعف في مواجهة العالم ، يستمد قوته من الإتحاد بالمفردات الكونية والإنسانية التي تعج بها الأرض من حول الشمس ، وكأن شمس ' هذه المرأة ' نلاحظ المواراة في دلالة مسكوت عنها بين الشمس والمرأة ' شمس '

إمرأة تركن إلى العلو والصراحة كما في شمس الصيف ، أم تطل خجلة من وراء الغمام ، بكل ضعفها وانكساراتها ، كما في شمس الشتاء ، أم تتوارى تماما مستسلمة لقدر الغسق الذي يحولها إلى مكان آخر من الكون ، لتبدأ رحلة التحول ' الغموض ' لتشرق فتية في أرض جديدة ....

هذه هي المراحل وما تحمله من مستويات فنية وإنسانية ، هي مراحل تحول شمس في الأناشيد

أناشيد تحتفي بالكثير من عناصر السرد :

١- رسم الفضاءات التي تنحاز في الكثير من المواضع إلى الذات ، سواء كان ذلك بالنسبة لشمس أم كان بالنسبة لمن حولها

٢- الحوارات التي تشبه الحوارات الشعرية ، والتي تقيس الروائية دلالاتها على قدر ما تقدمه من أملاء نفسية تتصل بالذات ، أو أملاء واقعية تتصل بالآخر



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- شمس في مواجهة العالم ، هذه المواجهة رسمت لها بشرى أبو شرار خطوطا متوازية تبدأ من محاور معلومة ، فنراها :

- دائما تبحث عن سر ما
- تقدم داخلها أولا ،.....
- تتوقع أن الآخر مرتبط بها .
- الرحلة هي الملاذ

تقول شمس :

علية يا دمعة الأمس والغد ، كيف رأيت عصفورين يتقافزان على غصن أذابت الأشواق أشواكه ، وأرق يأخذهما هربا من غيمة قد تحجب ضوء الشمس عنهما

سألتك :

- هل رأيت اليوم أم في الأمس

كان الأمس لها وله ، يحملا غصن زيتونه ، يرنو الجنوب حيرة ، ترنو الشمال رجاء مذبوحا ، ما بين شرق وغرب ، هي وهو وحكاية الطيور والوجع ، حصان تركته وحيدا ، جفت مياه مراعيه ، وغابت أعواد الدريس ، رف له قلبها ، لو تقترب منه ، تمسد براحتها على رقبته ، وتسدل عينيه الحزينتين على حكايتها وحكايته ...' الأنشودة العاشرة '

٤- تعتمد الرواية على الكثيرمن المعادلات الدلالية التي تفرزها أغوار الذات عند شمس أو عند حبيبها ، أو حتى فيما يتصل بالدلالات الرئيسية في الرواية ، وهي دلالة الألم والرحيل ، هذه المعادلات قد تظهر في شكل رموز وصور مجازية في الكثير من الأحيان تلتف هذه الرمز بدلالات خاصة ، تكاد تستقل عن الدلالة الأصلية ، وذلك لأن الكتابة تستبطن هذه الرموز ، حتى وإن كان ذلك يعتمد على قدر بسيط من السرد ، إلا ان المجازات التي تحيط بالرمز هي التي تجذب إليه دلالة ، كما في صورة ' الحصان في الأنشودة العاشرة '



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي لهفة الشوق إلى حبيبها ، في حنين لأن يضمها معه كيان واحد بعد الوجع والألم في الأنشودة التاسعة عشر ، تطلق الكاتبة جملة .....تؤثر على الدلالة السابقة والدلالة الآحقة وهي تقول :

..... دخان لفافاته يشعلها حريق ، يود لو يضم الأرض في راحة يده ، يعدم المكان والزمان ، يولد زمن أبيض ، تسكنه إمرأة بيضاء صافية نقية يراها في حضن القمر ، يفرح بضوء يزيح العتمة ....

***** *****

هنا تتداخل صورة شمس الحالمة الباحثة عن الدفء والأرض والذكرى بصورة إمرأة بيضاء ، صافية نقية ، يراها في حضن القمر ، وكانها بذلك تحاول أن تقدم لذاتها مداخل أخرى غير ما ألفته من وحشة وبرد وحنين ، ثم ما تلبث ان تحيل المعنى بين الرمزية والواقع في غموض شفيف ينبي عن تحولات السرد التي تميل إلى صنع الفضاءات الخارجية كما ذكرت ، عندما ترسم ذاتها وهي تنظر لقدميها ، رمال الشاطىء عالقة بها ، وموجات تلاحقها ، تريدها لتسحبها هناك على ظهر اليم ، كيف تطاوعها ؟....

ثم تعود لحرارة اللقاء وهكذا تشكل هذه التحولات في السرد أهم الملامح البنائية في كتابة بشرى أبو شرار الحكائية

٥- هناك خاصية بنائية تعتمد عليها كذلك في كتابتها السردية ، سواء كانت القصة القصيرة ، أو الرواية ، كما في عملها الطويل

' هنا ...وهناك ' هذه الخاصية هي إنطلاق لغة السرد من حالة تشبه حالة الوعي بالذات ، والتأريخ لها ، والحكاية عنها ، واستنباطها ، ثم مزج ذلك بعناصر أساسية هي :

- الواقع وله مستويات متعددة تتصل بالزمان والمكان
- الحلم ، ويختلط في الكثير من الأحيان بلغة الواقع
- حالة وعي تقع بين إنديا ح الحلم وطرافة الواقع ، ولا تحمل في طياتها إشارات زمنية أو مكانية ،



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنه نوع من الكتابة المحايدة ، كتابة عن الذات ، ووعي اللحظة الحاضرة وعيا خاصا ، هذا المدخل في أنشودة الشمس مدخلا أساسيا للدخول في الرواية ، وكلمة دخول هنا ، تعبر عن حالة من يحاول قراءة بشرى أبو شرار ، إتصال مباشر يحدث بين وعي المتلقي ووعي الحالة التي تنسجها الكاتبة في النص .

- الحياة مع الذوات :

- من اهم الملامح في بناء الدلالة عند الروائية بشرى أبو شرار أنها تحدث في العمل الأدبي تداخلا واضحا بين الحيوات التي مرت بها من خلال تجربة معيشية ثرية ، وبين الذوات الأنثوية اللواتي توجدهن في النصوص ، وكانت شمس هي تتويج هذه الرحلة التي أوصلت الذات إلى حالة من التوحد بينها وبين الذوات الآخرين ، وبمعنى آخر إن تقنية الإنفصال عن الذات لخلق مجموعة من الحالات التي تمثل كل حالة منها حياة مستقلة تعد من أهم البناءات الدلالية في هذه الكتابة المصفاه ، يتيح هذا الإنفصال أيضا الرؤية من الخارج ، حتى تستطيع تحريك الذات بحسب الحياة التي تعيشها ...

إن شمس في كل أنشودة تدخل عالما جديدا من الإحساس بالجمال والواقع ، ورؤية الذات والإنفصال عنها ، والعودة إليها والحوار معها .

إن السرد الوصفي هو الوسيلة الغالبة على حكايات شمس وأناشيدها ، سرد يتيح للراوي أن يتحرك بحرية كبيرة ، ويتيح له أن يتداخل بأكثر من طريقة ، منها :

- الحوار المباشر ، والذي يعتمد على النص في تحريك الدلالات
- الحوار الغير مباشر ، وهو مكمل لفعاليات الحكاية ، ويقترب من المباشر في المزج بين حركة الذات وحركة الزمن



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- التنويع الزمني ، يعتمد النص على التنويع الزمني في تركيب الحكايات ، من زمن سمفوني يهتم بالحركة القريبة لشمس ومحبوبها ، وزمن عام يقدمه الإسترجاع أو الإستباق ويكشف عن فاعلية الحلم كأداة توصيلية ، يقوم عليها البناء النصي ، ففي الأنشودة الأربعون ...

' يسألها عن علية ... ترسل إليه دمعة بمداد كلماتها ، تختزن حكايات من هناك ...

إبحث عنها فهي جسر محبة وقلب الكلام ...

لا يأخذك التعب من كلمات تكتبها وحيدا

فليست علية سوى إنفصال في رأي عن الحياة الأساسية لشمس ، أو تكملة لها على سبيل التماهي بين الذوات ، لم يقدم الكلام عن علية جديدا ، إلا روعة الإنفصال والإتصال التي يحدثها النص ليقد معالم الحياة الروحية للذوات ، وعلاقاتها الكثيرة بالأرض والموقف العام والواقع الذي يحيل إلى واقع مواز آخر لا يلبث أن يخرج من بين ثناياه واقع آخر ، وهكذا ، محاكاة للوجود الإنساني المأزوم في أبهى صورة ، وهذا بالضرورة يقودنا إلى خاصية دلالية مهمة من خصائص الكتابة عند بشرى أبو شرار ، وهي التحويل إلى النقيض دون الخروج عن الأعراف الإنسانية والفنية للحالة الأولى ، وكأن الذات الرئيسية وهي تحول الواقع بكل مستوياته برغم مأساويته إلى واقع جمالي تتعايش معه ، وتقدمه على أنه البديل للحياة التي كانت تريدها ، كما تقول وهي تخاطب ' علية ' :

قلت لها بأن طفلا سيأتي محبة وسلاما ، ولن يأت تتلقفه فوهات البنادق ورؤوس الصواريخ ....

إنها تخلق من الألم عوالم شتى تنداح في داخلها ، وتنسجم معها لأنها هي التي أوجدتها ، تعيش الحيوات المتناقضة على رقصة الألم وحلاوة اللقاء في الأنشودة الثانية والأربعين ...

' أستكين في قلب زنبقة وحيدة تعيدني طفلة ، وقد أخافها وحش يسكن الغابات ، ألمح قدميه العملاقتين وقد نفر شعرهما ، صارت أشواكا دامية ، يتهدل من خلف كتفيه وعلى ساقيه '

' وزنبقة تشدني إلى القاع ، تغسلني بماء الندى ، أتخلق لها من جديد ، أصير فراشة من بياض الأثير '



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هكذا يتحول الألم إلى نوع من الحياة مع الحياة التي توجدها شمس ، حياة تغص بالرموز والحيوات المتباينة التي تعتمد على روح غاية في الإنكسار ، وفي الوقت نفسه روح تتحدى الآلام وتحولها إلى واقع جمالي يصور واقعا آخر محتملا تعيشه شمس

إن بشرى أبو شرار تختصر الوجود في هذه الذات التي تحيا وهي تحكي عن عالم لا يمكن أن يبلغه غيرها ، تمسك بزمام الحكايات بكل الوسائل المتاحة ولا تتركه إلا مختارة

دكتور ... محمد زيدان
٢٠٠٧\٩\١٤



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

**الأديبة بشرى أبو شرار في سطور :**

- مواليد غزة فلسطين
- عضو في إتحاد كتاب مصر ، نادي القصة ، جماعة الأدب العربي ، نادي الأدب في قصر ثقافة الأنفوشي
- عضو في إتحاد كتاب فلسطين
- عضو في أتحاد كتاب الأفرو آسيوي
- حاصلة على ليسانس حقوق جامعة الإسكندرية ، تمهيدي ماجستير دراسات عليا قسم ' قانون عام '
- حازت على جائزة احسان عبد القدوس في القصة القصيرة ' برج العرب '
- ومركز أول في مجموعة قصصية ' حبات البرتقال ' مؤتمر الدكتور محمد زكي العشماوي في قصر التذوق في الاسكندرية
- شاركت في العديد من المسابقات داخل جمهورية مصر العربية ، منها جائزة الدولة التشجيعية
- حازت على مركز أول في القصة القصيرة في إستطلاع للرأي لمؤتمر إقليم غرب ووسط الدلتا
- شاركت في العديد من المؤتمرات الأدبية ، مؤتمر أدباء الأقاليم الذي عقد في محافظة سوهاج ٢٠٠٧، مؤتمر إقليم غرب ووسط الدلتا في الإسكندرية ٢٠٠٧
- تمت دعوتها للعديد من الندوات في قصر ثقافة المنيا ومناقشتها في العديد من أعمالها في القصة والرواية ، ودعوة برعاية الثقافة الجماهيرية في مدينة برج العرب ، نقابة الصحفيين بالقاهرة إشراف الأستاذه هاله فهمي ، في مناقشة روايتها ' من هنا وهناك ' ناقشها الدكتور مدحت الجيار ، ندوة في نادي القصة في القاهرة مناقشة رواية ' من هنا ..



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك ' د مصطفى الضبع ، د جمال التلاوي ، د مدحت الجيار ، مناقشة في قصر الإبداع في الاسكندرية في مجموعة من الأعمال ، قصر التذوق ، الاستاذ الناقد شوقي بدر ، الأستاذ الدكتور السعيد الورقي في روايتها اعواد ثقاب ، قصر ثقافة مصطفى كامل ، مناقشة روايتها ' شهب من وادي رام ' أستاذ شريف محيي الدين والأستاذ كمال عماره الناقد ، د هيثم محمد علي ، قدمها في كتاب الأبحاث في مجموعة إقتلاع ،د محمد زيدان كتب عن روايتها في كتاب الأبحاث لمؤتمر إقليم وسط وغرب الدلتا في روايتها ' من هنا .. وهناك '

- تم عمل العديد من الدراسات الأدبية على إبداعات الكاتبة من قبل العديد من الباحثين ، الأستاذ الدكتور مجدي توفيق ، الأستاذ الدكتور مصطفى الضبع ، الأستاذ الدكتور مدحت الجيار ، الأستاذ الدكتور السعيد الورقي ، الأستاذ الدكتور حامد أبو أحمد ، الدكتور زكي العيله ، الأستاذ أحمد فضل شبلول ، الأستاذ محمد محمود عبد الرازق ، الأستاذه فوزية مهران
- نوقشت أعمالها من القصة والرواية في معرض الكتاب الدولي في القاهرة لعدة دورات ، د مجدي توفيق والأستاذة فوزية مهران في رواية ' شهب من وادي رام ' في مجموعتها القصصية القلادة ، الأستاذة فوزية مهران ، من هنا وهناك ، الأستاذ الروائي الناقد غريب عسقلاني من فلسطين والأستاذ الناقد عبد الله هاشم ، مجموعتها القصصية ' جبل النار ' الدكتور حامد أبو احمد
- كتب عن أعمالها من العديد من الصحف والمجلات الثقافية منها ، المحيط الثقافي عن مجموعتها ' أنين المأسورين ' أدب ونقد دكتور مجدي توفيق عن رواية ' من هنا وهناك ' قصص أخرى في مجلة أدب ونقد عن مجموعة القلادة ، الجمهورية ، الصحف اليومية التونسية نشرت دراسة الدكتور مجدي توفيق ، جريدة الأهرام اليومية ، الأهرام المسائي ، دراسة نقدية في صفحة أدباء الأقاليم عن رواية ' من هنا .. وهناك 'للأستاذ محمد برمو من إدكو ، جريدة الأسبوع كتبت عن مجموعتها القصصية ' جبل النار ' ومجموعة القلادة للأستاذة فوزية مهران ، جريدة العرب الناصري وتغطية لندوتها في معرض الكتاب



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

، نشر بعض من قصصها القصيرة في ذات الجريدة ، جريدة الحياة اليومية الصادرة من رام الله أجزاء من روايتها ، مجلة الحياة الثقافية التونسية ...جريدة الرأي الأردنية ، جريدة الدستور الأردنية ...مجلة الصدى الأسبوعية الصادرة من دبي

- الأعمال التي صدرت للأديبة :
- مجموعة قصصية : أنين المأسورين ، القلادة ، جبل النار ، إقتلاع
- الرواية : أعواد ثقاب ، شهب من وادي رام ، من هنا وهناك

**** *****

- أعمال تحت الطبع :

- أنشودة الشمس ' رواية '
- حنين 'رواية '
- شمس ' رواية '
- حبات الرتقال ' مجموعة قصصية

******* *******

الكاتبة تقيم في الاسكندرية
بريد السراي _ ص ب ٣٥٢
الرمز البريدي ٢١٤١١
الهاتف _ ٠٣٥٥٣٨٨٥٥
محمول ٠١٠٣٣٨٦٩٦٩

******* ********



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شهادة عن الرواية المعاصرة
بقلم سناء أبو شرار

١

قالت لي بأن حلمه كان أن يعود لوطنه وأن يجلس بسلام تحت إحدى دوالي العنب يراقب السماء حيناً ويكتب حيناً آخر.ولأجل حلمه البسيط سمى إبنه سلام وإبنتيه داليا وسماء.فارق الحياة ولم يتحقق حُلمُه البسيط،وكم من الأحلام البسيطة لا يستطيع أن يحققها الإنسان الفلسطيني.أحلامهُ تموت أو تُقتل ورغم هذا يحيا ويحلم بها ويموت لإجلها.

الفلسطيني يملك أثقل ميراث يمكن أن يمتلكه إنسان،بيوت هُدمت،وبيوت قُتل أهلها أو رُحلوا عنها،أراضي صودرت،أشجار أُحرقت،غذاء أُتلف،ومياه سُرقت أو سُممت،وأموال نُهبت،وأنسانية مُزقت،وشيخوخة أُهينت وجُوعت،وشباب تبدد بين الأمل والدم والحلم.وهو ميراث ثقيل يحتل قلبه وعقله وحواسه؛ربما لا يطمح أي كاتب فلسطيني أن يكون كاتباً بقدر ما يدفعه هذا الميراث إلى إمساك القلم وتوزيع شيء من ميراثه المؤلم على بعض الأوراق والكلمات وبيوت الشعر.

وحين أسير في المدن الحرة وأجد الإنسان هناك ليس إلا رقم في سجلات الدولة،وحين أرى هذا الإنسان الحر الراقي يلتمس الأعذار لجرائم القتل وتجويع الشعوب وينتخب مُرتكبيها،وحين أجد ان الكثير من البشر لم يعد لديهم حلم وأن حيواتهم أصبحت أيام متكررة بإنتظار نهاية الشهر ليشعروا بشيء من السعادة المؤقتة والأمن قصير الأمد،فأتأمل ميراثي وأنتمي إليه أكثر،فتحته يختبيء حلم عظيم يتلألأ رغم كل السواد والرماد والنيران،أرى شعاع حلمي رغم أن الآخرين يقولون لي لا نرى لميراثك نور،ولكنني أعرف أن أعظم ما يمتلكه الإنسان هو حلم وأن إنجازات الأمم بدأت بأحلام كامنة تحت صخور الواقع

الأليم.أحمل ميراثي الثقيل وأُحملُه لإبني مثلما حملني أياه والداي واهمس بأذنه:أنظر إلى الحلم القابع هناك،سِر على هدي نوره وأنقل ميراثي لأولادك.

جداول دماء وخيوط الفجر..أول كتابة لي عن المعاناة الفلسطينية،لا أستطيع أن



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أُسميها قصص بل هي شهادات واقعية عن القليل مما يحدث هناولأنني لا استطيع أن أحمل السلاح حملت القلم لأدون بعض تلك الشهادات،فما هو أسوء من العجز عن الدفاع عن الأرض والنفس هو موت الكلمة وغياب الحدث بين اكوام من اليأس والإحباط.لابد لنا من أن نلغي ثقافة(وما الفائدة؟وماذا سيجدي القلم؟)لابد أن يكتب القلم لتصبح للمعاناة شرعية إنسانية تطوف أرجاء الأرض بعد أن سُلبت القضية الفلسطينية شرعيتها القانونية،وليعرف الآخرون بأن لنا قلوب تتألم وعيون تبكي،فلسنوات طويلة قالوا لنا ولشعوب الأرض بأنهم لا قلوب لهم وأنهم مجرد رعاع ينتشرون على سفوح الجبال ،ولكي لا ننسى ولا تنسى الأجيال القادمة.

رواية أنين مدينة..هي أنين الحرية المخنوقة في أرجاء العالم العربي،حرية الكلمة والرأي وأخذ القرار،فكيف للقضية الفلسطينية أن تنطلق وتتنفس في الآفاق وأقلام المثقفين مُكممة بل ومكسورة؟المثقف في عالمنا العربي أُمر بأن ينغلق بأعماقه الذاتية،ألا يُجري حواراً حراً إلا مع ذاته فقط،وإن خرج عن ذاته فكي يُعبر عما يفكر به بعضاً من أفراد مجتمعه لا عما يعتقده هو أو ما يفكر به الفقراء والمقهورين ولا يترجم إرادة الشعوب.في بلاد الحرية وأخذ القرار وإبداء الرأي دون خوف ودون إنتظار لمنفعة ما،يتجول المثقف في كل أنحاء وطنه طليقاً حراً وأجنحتهُ هي قلمه الصغير،لذلك وحين يكتب يقرأ لهُ كل الناس ،وحين يتكلم يستمع له كل الناس.أما المثقف العربي فلابد وأن يُتقن فن التمثيل والمحاكاة والمجاملة ليكون له صوتاً ،ولا يتشوق أحد من عامة الناس لقراءة مقاله أو الإستماع لأقواله. فالمثقفون و شعوبهم سجناء قوانين ورقابة وخوف ترعرعوا وعاشوا معه،فتموت بهم المبادرة والإبداع ويتبقى شخوص متكررة على مدار عقود لا نهاية لها.

أما رواية أوراق الميرامية..فغربة المكان التي أعيشها فرضت على قلمي أن أكتب عن غربة النفس والروح،بل إن غربة الذات هي نتيجة حتمية لغربة المكان،هذه الرواية كانت تحليل نفسي لما للغربة من أثر على الأفكار والسلوك والمشاعر، فتتشكل ذواتنا وحياتنا كعجينة هشة تمتزج بالعزلة والحنين الدائم للوجوه والأماكن.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رواية غيوم رمادية مبعثرة ...لم أفكر يوماً ما بأنني سأكتب عن أطفال الشوارع،ولكنني في يوم ما نظرت من شباك سيارتي،وألتقت نظراتي بنظرات ذلك الطفل الجالس على حافة الصيف،نظرت لوجهه الداكن اللون وعيناه الغائرتان،وملابسه الرثة....لم أنسى تلك النظرات،ورأيت في وجهه غربة أشد من غربتي،لأنه غريب ومنبوذ وهو يعيش على أرض وطنه وربما له أقرباء ما ولكنهم قرروا بأنه لا يعني لهم شيئا،والمجتمع قال له أيضاً بأنه لاقيمة له بهذه الحياة ولا على هذه الأرض،ويغفل هذا المجتمع عن أن من أخطر ما قد يحدث له هو أن لا يصبح له أي قيمة في عقول وقلوب هؤلاء الأطفال. أطفال الشوارع هم ترجمه للقسوة وتدني القيمة الإنسانية،وهم شهود على كل ما نخجل أن نتفوه به.

لا أنسى ضحكاته المرحة رغم الشقاء والكد اليومي،يداه خشنتان وقلبه رقيق،أسمه كمال ولقد كان قريبناورفيق طفولتنا أنا وإخوتي ورفيقنا طوال حياته،

كنت أقول لنفسي دائماً بأنني سوف أراه حين أعود،نتحدث ونضحك في أمسيات الصيف البعيد،ولكن صاروخ صهيوني مزق جثته،لم أصدق بأن كمال



قد إستشهد، وأنني لن أراه مرة أخرى فهو لوحة جدارية ثابتة في ذاكرتي وهو كل فلسطيني على أرض فلسطين أيامه مغموسه بالشقاء وتوقع الشهادة في كل لحظة وراكضاً لمساعدة أي إنسان بأي وقت وبأي مكان.كل فلسطيني لديه أحباء مثل كمال يشتاق إليهم ولا يستطيع وداعهم قبل موتهم أو حتى زيارة قبورهم،فكيف لي أن أعود هناك ولا أرى أبي وأمي وكمال و....القائمة طويلة لأسماء الأحباء والألم يحفر أخاديد عميقة في القلوب وعلى الوجوه.يُخطيء من يعتقد بان الإجرام الصهيوني شكل صورة نمطية لمعاناة شعب مُهجر ومُشرد،لقد إكتشفت مؤخراً بأن هناك صور لا حصر لها لهذه المعاناة،تبدأ من التشرد وسفك الدماء وكل أشكال الجرائم التي أُكتشفت والتي لم تُكتشف بعد وإنتهاءً ببكاء يتيم وعجوز وإنسان يشتاق حتى لحفنة من التراب.

حتى الأنفاس التي تتحرك بصدري تؤلمني حين أفكر بكل هذا،وحين تضيق الأرض بما رحُبت أجلس بركني الصغير وأغمض عيناي وأرحل إلى أرضي وأسير بهدوء في كل الشوارع ،أزور كل بيوت الأحياء وقبور الأموات وأُقبل أوراق الشجر. إنه وطني وأحلم بأنني سأعود إليه وأنني



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سأجد لله وأُقبل أرضه الطاهرة ثم أموت وأُدفن هناك،فنحن الشعب الوحيد على هذه الأرض الذي أحلامه بسيطه ولا ترتفع عن تراب تلك الأرض المقدسة.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com